عروس البحر

أراح السلة المصنوعة من جدائل الخوص بجواره، أخذ ينفث من سيجارته متلصصاً عليها.

منذ الصباح الباكر و هي تتجلي، تمسك ريشتها وقد أبعدت عن رأسها المتاعب و مسحت عن نفسها كل أثر لشجون أو معاناة. ألقي هو بفم السيجارة في الماء. أشعل واحدة أخري. جلس القرفصاء و استند إلي بعض الصخور.

غمست هي الريشات في قوارير الألوان، فأبدعت في نقش البحر و زانته بالزبد الأبيض الشاهي و أركبته ظهور الموجات.

أخرج هو سن الشص من السلة، و أخذ يعجن شيئاً بيديه. سكبت هي كل ما لديها من درجات الأخضر و الأزرق، فبرقشت صفحة الماء، فرشت عليه نور النهار، تلألأ البحر بدرجات التركوازي، في ليونة متبخترا في مساحات تشكيلية أخاذة.

مد بصره يستكشف البعيد. البحر أمامه يمتد بشرائط عريضة من من درجات الأزرق، تتلوها شرائط أفتح فأغمق.

الرمال البيضاء لا حجم لها، تسكن فوق الأرض تستجيب لحرارة الشمس.. تستقبلها، ترتشف أشعتها في استعذاب يغزو شهود العيان حولها، فيرفعون راية الاستسلام و يخلعون ملابسهم.

غمس الطرف المدبب ببعض من لباب الخبز، الذي كان يكوره في كفه شارداً ينظر للسماء، يحس بنفحات صاعدة إليها، تلملم السحابات الشاردة، فتسطع بلون البحر، و البحر بلون السماء فتكتمل زينة اللوحة.

ومن بعيد تصطف الشمندورات تصنع حدوداً.

فرغت هي من سكب ألوانها، لمحها تنسل مكدودة، لتغوص في البحر، تضاجعه، تكبل خيوط المد و الجذر فتكتب لاسمها الخلود.

وقف كمن خرج لتوه من عراك، خطا خطوتين حذرتين فوق الصخرة القطيفية اللزجة التي صبغها العشب بلونه، احتضنها هو بباطن قدميه اللتين فلطحهما طول السير علي الشواطئ. رمي الشص بطول ساعده الأيمن ليغرق الطرف المدبب و جزء من الخيط في جوف الماء.

اعتدل في وقفته و أسند ظهره إلي يسراه كمن يشكو ألماً في جانبه، ظل واقفاً كتمثال، لكن الخيط هبط حيث تهجع هي.

نظرت إلي الخيط في شرود، تركته يداعب أهدابها قليلاً، ثم نفثت في الخيط، فذاب الطُعم و اهتزت الصخور القطيفية اللزجة، تراقص الرجل في وقفته، سحب الشص خالياً، غمس في مقدمته طعم أخر أكبر حجما، ألقي به دون أن ينال منه الضجر.

نظرت هي إلي أعلي في بطء، ثم أومأت لسمكة فضية صغيرة كانت تغفو في حناياها، جاءتها السمكة، أمسكت هي بالشص غمزت خيشومها به، أحس الرجل ذبذبات أجرت الدم في عروقه، سرت النشوة في جسده، و بحرفية ماهرة، استجمع كل خبرات الصيد بين راحتيه، وجذب البوص بشدة، طارت السمكة الفضية المعلقة بالخيط عالياً، و ارتمت خلفه فوق الصخور تحاول الفكاك. مال الرجل بجسده كله ناحيتها، انزلقت قدمه المفلطحة فوق الصخرة القطيفية اللزجة، التي أكسبتها االأعشاب البحرية لونها الأخضر.